

كتاب التجليات الإلهية (تابع)

تصنيف الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق عثمان اسحاق يحيى

مركز المراكز القومي للدراسات العلمية في بيروت
نسخة المخطوطة الإسلامية

حاصلات كتاب التجليات

يمكن اعتبار كتاب «التجليات الإلهية» ١ من الجوانب التاريخية - نموذجاً لتأليف ابن عربي في المشرق الإسلامي - وبعبارة أدق من بواكير إنتاجه العلمي الخصب : أثناء حله ورحاله في الشرق الأوسط : قبل أن يستقر به المقام في محروسة دمشق . سنة ٦٢٠ للهجرة أو قبلها بقليل ١١ . ولكنه - أعني كتاب التجليات - من الوجهة الفنية الخاصة : يمتاز عن

(١) تبين في هذه الفترة من رمضان عام ٥٩٨ للهجرة (انظر رسالة روح القدس في صامحة أنس : لابن عربي : مخطوط جامعة اسطنبول : رقم ٥٧٩/٥٢-٥٣ ب) . - وتعتبر هذه الفترة من أهم الفترات في حياة الشيخ الأكبر : سواء بالنسبة إلى كثرة معشاقه : أو إلى تعدد رحلاته في بلدان هذه المنطقة من العالم الإسلامي القديم : أو لتقائه بالعلماء وأولي النبلان . راجع تفصيل هذا كله في : « *L'œuvre d'Ibn 'Arabî, I, p.p. 94-106* » . - هذا : ومثلثات هذه الفترة التي أمكن معرفة تاريخها على وجه التقريب : يبلغ عددها ٥٣ كتاباً ورسالة (نسب المفسر : من : ١٠٣-١٠٦) . - ونكي تتكون لدينا فكرة مجملة عن مثل هذه الحياة النشطة : تذكر فيها يأتي «تنقلات» ابن عربي بين سني ٦٠٠-٦٠٢ : عام ٦٠٠ : هو في مكة (انظر رسالة روح القدس : المقدمة والخاتمة : و «ديوان ترجمان الاشراف» : المقدمة و «تاج الرسائل» لابن عربي : المقدمة) . - عام ٦٠١ : هو في مدينة الموصل (انظر «تنقولات» الملكية : ١٨٠/١ : ١٨٧-١٧/٣ : ٩٠/٤ : و «تنقولات الموصلية» : له : آخر الكتاب) : وفي مدينة بغداد (انظر «روح القدس» : مخطوط جامعة اسطنبول : ٥٧٩ (تسم الساعات) : وفي مدينة القدس (انظر «كتاب الازل» : له : مخطوط خزانة ولي الدين (اسطنبول) رقم ٥١/٥٠ ب) : وفي مدينة ملطية (الانامول) (انظر «روح القدس» : مخطوط جامعة اسطنبول : ٥٧٩ (تسم الساعات) . - عام ٦٠٢ : هو في مدينة الحليل (فلسطين) (انظر «كتاب آيتين» : له : آخره : و «روح القدس» : مخطوط جامعة اسطنبول : ٥٧٩ (تسم الساعات) : وهو بمدينة «قونية» (انظر «كتاب العنقة» : له مخطوط ولي الدين : ١٧٥٩/١١١ ب) : وهو بمدينة القدس أيضاً (انظر : «كتاب المقدس المنظوم» : له : مخطوط خزانة ولي الدين : ١١٤٢/٥١) .

سائر المصنفات «الأكبرية» بطريقته الخاصة في أداء المعاني وتصوير الأفكار. وهذا الأسلوب البياني الخاص ليس نادراً في آثار ابن عربي فحسب ؛ بل هو كذلك في التراث الأدبي للعرب بوجه عام .

والواقع أنها عديدة فصول «التعاليم» التي صيغت أجزاءها في قالب حوار بين الشيخ الأكبر وبين من تقدمه من شيوخ التصوف الأولين . وهذه المحاورات الفكرية تدور كلها حول موضوع رئيسي منها تعددت صرر الحديث عنه أو تشعبت فترته ؛ وهو «التوحيد الحقيقي» . عماد الحياة الدينية والمعنوية في آن معاً .

ويذكر إمامنا صاحب «التعاليم الإلهية» : من خلال مطارحاته مع كبار الصوفية المتقدماء ؛ (في حضرة من حضرات الحق أو في مشهد من المشاهد القدسية) : - بصورة شخص غريب عن يشيد وزمانه . أنه يحمل أمانة علم مجيد لدى الكثير من معاصريه وسابقيه . فهو يبدأ حديثه مسائل متجاهلاً مع كل شيخ يلتقي به حول قضية التوحيد في جانب من جوانبه المعقدة أو في مظهر من مظاهره المتعددة . ولكنه يتحرى دائماً أن يكون سؤاله موافقاً للناحية التي يعتمد عليها محدثه في اختباره الروحي وذوقه الديني . ولا يكاد ذلك الشيخ يفرغ من جوابه حتى ينهض ابن عربي فيميط جانباً قطاع اتجاهل الذي اصطغته ؛ ويسلط على محدثه أشعة من أنوار الحقيقة التي يعثر لضربها بصره ويضطرب إمامها جنانه .

وكذلك تلذذ سامعنا لهذا الحوار العجيب مع شيخ الطائفة أبي القاسم الجنيد ؛ حول «توحيد الربوبية»^(١) ؛ ولتلك المناظرة الممتعة مع شهيد التصوف الخلاج الكبير ؛ بشأن «تجلي العلية»^(٢) ؛ ولذلك الحديث العذب مع ذي النون المصري ؛ في «التزوية والتشبيه» ؛ وجهي الحقيقة المطلقة في بطونها وظهورها ؛ في وحدها وكثيرتها^(٣) . وكذلك يتجلى لأعيننا موقف ابن عطاء

(١) انظر ذلك فيما يأتي يبدأ بعنوان : «تجلي توحيد الربوبية» (ورقه : ٦٧) . أما ترجمة الجنيد في «تجلي المناظرة» (ورقه : ٥٤) .

(٢) انظر ذلك فيما يأتي يبدأ بعنوان : «تجلي العلية» (ورقه : ٥٧) ؛ و ترجمة الخلاج هناك .

(٣) انظر ذلك فيما يأتي يبدأ بعنوان : «تجلي مريان للتوحيد» (ورقه : ٥٩) ؛ و ترجمة ذي النون المصري هناك .

في «العبادة الذاتية»^{١١} . وسجرت سبيل التستري عن ادراك معنى «وجود القلب إلى الابد»^{١٢} : وحيرة الترمش «راه (الترجيد الحقيقي) الذي أقدم عليك على «قواعد ثلاث» ... ان هذه النسخة الخالدة من فصول كتاب «التجليات» يترجى . من الوجهة الادبية الخالصة . ان توضع في في مصاف (رسائل الغراني) فيليرف الشعراء . ابي العلاء العظيم .

المفردات الاساسية لكتاب التجليات

تدور مباحث هذا الكتاب حول موضوعين رئيسين : هما حجر الزاوية في مذهب الشيخ الاكبر . ومحرر منهجه التستري اعلم^{١٣} : فكرة «التجليات» وفكرة «الترجيد»^{١٤} . ولان عربي مواقف خاصة في هذين الموضوعين اذامين . تتأخر حقاً بالعمق والاصالة والشمول . ولكن نلاحظ بداية ان فكرة «التجليات» لم تعرض في هذا الكتاب على نحر عربي وتفسلي . بل جاءت مبددة مثبته : يشوبها الغموض والاضطراب : بينما كانت فكرة «الترجيد» ذات مجال واسع للبيان والتحليل والتصوير .

نظرية التجليات الاكبرية

مقالة «التجليات» عند ابن عربي : وثيقة انروابط بنظريته في الوجود والمعرفة والاختبار الروحي . وبتعبير اكثر دقة : ان مقالة «التجليات» هي

(١) انظر ذلك فيما يأتي ببدء بعنوان : «تجل من تجليات المعرفة» (ورقه : ٦٩ : مع ترجمة ابن عطاء) .

(٢) انظر ذلك فيما يأتي ببدء بعنوان : «تجل نور انيب» (ورقه : ٧٥ : مع ترجمة سهل التستري) .

(٣) انظر ذلك فيما يأتي ببدء بعنوان : «تجل من تجليات الترجيد» (ورقه : ٧٦ : مع ترجمة الترمش) .

(٤) اهم المراجع لدراسة مذهب ابن عربي ومنهج تفكيره اعلم :

L'imagination créatrice dans le soufisme d'Ibn 'Arabi, par H. CORDEN, éd. Flammarion, Paris 1958 ; — *The Mystical Philosophy of Muhyid-Din Ibn al-'Arabi*, par A. E. 'ARABI, Cambridge 1939 ; — *Kleiner Schriften Das Ibn al-'Arabi*, par H. S. NYRBERG, Leiden (E. J. Brill) 1919 ; — *El-Islam Cristianizado*, par Asin PALACIOS, Madrid 1931 ;

اما الاسرار التاريخية للمذهب ابن عربي فراجع في :

Ibn Masarra y su escuela : orígenes de la filosofía hispano-islámica, in *Obras escogidas*, par Asin PALACIOS, Madrid 1946.

اساس فكرة الشيخ الاكبر عن الوجود والمعرفة و «التجربة التحريرية» .
فليس الوجود ولا المعرفة ولا «التجربة التحريرية» إلا أثرًا من آثار «التجليات» .
ويظهر من مظاهرها الكلية . ومن ثَمَّت . نستطيع ان نلاحظ اهمية فكرة
«التجليات» والدور الرئيسي الذي تضطلع به عند ابن عربي : في ميادين
ثلاث : في ميدان الوجود وفي ميدان المعرفة واخيرًا في ميدان الاحتمار الروحي
للكائن الانساني^(١) .

التجليات الوجودية

التجليات . في دائرة الوجود : هي مظاهر لكل ما ينطوي عليه «أحق»
من كمال لا نهائي ومجد سرمدي^(٢) . و «أحق» . في ذاته . ينبوع فياض

(١) لكي نكون لدينا فكرة عامة عن اهمية هذه النظرية عند ابن عربي واتسعه فنلاحظ
اولاً مفرداتها اثنية المتصلة فقط في كتاب «التجليات الالهية» والتعليقات عليه وشرحها :
تجلي الاحدية : - تجلي الامر : - تجلي الامس : - تجلي البصري : - تجلي
التوحيد : - تجلي الحق : - تجلي الثاني : - تجلي الربوبي : - تجلي النوري : - تجلي
القيومي : - تجلي انقلب : - تجلي صوت تزييل الغيوب : - تجلي الواحد في المقامات : -
تجلي الواحد لنفسه : - تجلي الوجودي . - ونلاحظ . ثانياً . مفردات هذه المقالة لا في
كتاب «التفتيح المبكى» (نحن الآن بعدد تقييده ثبت شامل لمصطلحات الفتوحات مع وضع
فبارس تعليلية لها) ولكن في كتاب «لطائف الاعلام بالاشارات اهل الاخام» (خصوصاً جامعة استنبول :
رقمه ٢٣٥٥ A) : تجلي الأول (ورقة : ١٤٠) : - تجلي الثاني (ورقة : ١٤٠-١٤١ ب) : -
تجلي الاحدي الجسمي (ر : ١٤٠ ب) : - تجلي انقلب المتب (١٤٠ ب) : - تجلي انقلب الثاني
(١٤٠ ب) : - تجلي انقلب الأول (١٤٠ ب) : - تجلي الحوية (١٤٠ ب) : - تجلي شب اطوية
(١٤١ ب) : - تجلي الشهادة (١٤١) : - تجلي المنعنى للاستعداد (١٤١) : - تجلي
الميز للاستعداد (١٤١) : - تجلي الميز للاستعدادات (١٤١) : - تجلي المنعنى للوجود
(١٤١) : - تجلي الساري في جميع القواري (١٤١) : - تجلي الساري في حقائق الممكنات
(١٤١) : - تجلي المقام (١٤١) : - تجلي للمقام (١٤٨) : - تجلي الفعل (١٤١)
(١٤١ ب) : - تجلي الثاني (١٤١ ب) : - تجلي الصفائي (١٤٢) : - تجلي الاسم
الظاهر (١٤٢) : - تجلي الظاهري (١٤٢) : - تجلي الباطني (١٤٢ ب) : - تجلي
الجسمي (١٤٢ ب) : - تجلي الخفي (١٤٢ ب) : - تجلي الخبوي (١٤٢ ب) : - تجلي الجانح
(١٤٢ ب) : - التجليات الذاتية (١٤٢ ب-١٤٣) : - التجليات الاختصاصية (١٤٣) : -
التجليات انبوية (١٤٣) : - التجليات التجريدية (١٤٣) .

(٢) للمراجع . الخاتمة لدراسة فكرة «التجليات» عند ابن عربي وفي مدرسته :

L'Imagination créatrice dans le sufisme d'Ibn 'Arabi, par H. CORNET (Paris),
pp. 81-103 ; — *The Mystical Philosophy of Mevlânâ Dîn Ârîf-i Erzurûmî*, par
A. G. ARAM (Cambridge), pp. 33-40 ; — *Das Buch der sieben Stufen von*
'Abd al-Karîm al-Jîlî, par ERNST BÄCKSTRÖM (Wien 1956), pp. 4, 8, 72

لا يشذ سراء ورياء . انه « كثر دفين » يحب الظهور والتعريف . ان (الحق : كجنان : من طبعه ان يتنمى : وكالحب : من شأه ان يتنمى . وتجليات الحق : - تعالى ! - هي بالتضبط مظاهر جماله وكذاله عسى مسرح الكون اتسبح .

وتنحصر التجليات الوجودية . على وجه كلي . في حضرات^١ ثلاث : في حضرة الذات (وتسمى عندئذ بالتجليات الوجودية الذاتية) : - وفي حضرة الصفات (وتسمى بالتجليات الوجودية الصفاتية) . - وفي حضرة الافعال (وتسمى بالتجليات الوجودية الفعلية) . لان طبيعة (حق) . من حيث هو كذلك : ذات وصفات وأفعال .

والتجليات الوجودية الذاتية هي عينات لحق بنفسه من نفسه . مجردة عن كل مظهر أو صورة . وعالم هذه التجليات . اي الأفق الخاص الذي تدبث عنه وتشرق فيه . هو « عالم الاحدية » . وفي هذا العالم تظهر ذات الحق منزوعة عن كل صفة واسم او نعت ورمز . انه عالم ذات الحق : من حيث هو سر الاسرار وغيب الغيوب : كما هو ايضاً مظهر التجليات الذاتية . اي المرآة التي تنعكس عليها حقيقة الوجودية المطلقة .

والتجليات الوجودية الصفاتية هي عينات لحق بنفسه لنفسه في مظاهر كمالاته « الاسماوية » وبحالي نعوته الأزلية . وعالم هذه التجليات هو « عالم الوحدة » . وفيه تظهر حقيقة الوجودية المطلقة في حلل كمالاتها : بعد كونها

وفي « كتاب في علم التصوف لداود القيصري » (= مقدمة شرح اثنية الكبرى) : خطوط ايا صوفيا ١٨٩٨/١٩٦ - ٩٩ ب : - و « المقدمات من شرح نفوس احكام » له ايضاً : نفس المخطوط : ورقات : ١٣٩ - ٣٥٣ ب : ١٦٠ - ١٦٩ : - و « كتاب اصطلاحات الشايخ من لوائيل شرح القصيدة اثنية لفرغاني » : نفس المخطوط : ورقات : ١٦٥ - ١٦٦ ب : - و « شرح ابن خلدون » (اتعجل السادس عشر من الباب السادس ص. ٥٧١ ، ط. مصر) : - و « شرح السائل لجيب السائل » لابن خلدون ايضاً ، تحقيق : الاب خليفة (قسم الاصطلاحات العرفية : مادة تجلي) . - اما المراجع تفكرة « التجلي » من الجانب الكلامي والشرعي ، فننظر في كتاب « الشرح والابانة عن اصول الديانة » لابن بطة للمكبري ، تحقيق الاستاذ هنري لاروست : (الترجمة الفرنسية : ص ٨٩ ، تعليق رقم : ٣٠٢) .

(١) وهي عند البعض خمسة (انظر « كتاب في علم التصوف » لداود القيصري ، خطوط ايا صوفيا ١٨٩٨/١٩٦ - ٩٨ ب : - و « المقدمات من اوائيل شرح النفوس » له ايضاً ، نفس المخطوط ، ورقات : ١٦٠ - ١٦٣ ب) . - وعند البعض الآخر ، هي اربعة (انظر « كتاب اصطلاحات الشايخ » لفرغاني ، نفس المخطوط المتقدم ، ورقات : ٣٥٣ - ٣٦٠ ب) . - وانظر ايضاً :

The Mystical philosophy of Mahyid-Din Ibn al-Arabi, par A. E. 'Azzami, pp. 43 n.

في اسرار (الغيب المطلق) - عن طريق النفيض المقدس^١ . كما ان في عالم هذه التجليات (= في عالم الوحدة) تبدو الوجودات في صور «الاعيان الثابتة»^٢ .

والتجليات الوجودية الفعلية (او الافعالية) هي تعينات الحق بنفسه نفسه في مظاهر الاعيان الخارجية والحقائق الموضوعية . وعالم هذه التجليات هو «عالم الوحدة» . وفيه تظهر الحقيقة الوجودية المطلقة بذاتها وصورها وافعالها عن طريق «النفيض المقدس»^٣ . اي انه في هذا العالم يتجلى «الحق» في صور الاعيان الخارجية . نوعية كانت او شخصية . حية او معنوية .

فالحق - تعالى ! - والحق وحده . هو مبدأ التجليات الوجودية ومظهرها وبعدها . أليست هذه تدور في فلك الذات والعنات والافعال ؟ فبني اذن لم تصدر عن عدم ولن تزول الى العدم . - ولما كان الحق هو المبدأ التجليات الوجودية ومظهرها وبعدها . فبني اذن «فعل مطلق» لا تكون في غير «دائرة المطلق» : فهي من الحق وبه واليه : سواء في مستوى الذات او الصفات او الافعال .

ولما كانت الاحدية والوحدة والوحدانية هي عوالم التجليات الوجودية الثلاث : فبني - اعني هذه التجليات - على صفاتها وبساطتها وسموها : منها تعددت مظاهرها الخارجية او تنوعت آثارها الوجودية : انها عن الوحدانية صدرت : وبالوحدانية ظهرت : وإلى الوحدانية تعود .

(١) «النفيض المقدس» من ابن عربي «هو تجلي الذات الإلهية لنفسها في صور جميع السمكات التي يتصور وجودها فيها بالقدرة» او «هو تجلي الحق لذاته في العوالم المعنوية لتكائنات» («الدكتور عفيفي» تعليقات على الفصوص ١/٢) .

(٢) «الاعيان الثابتة» هي استقائن المعنوية او الصور المعنوية لتكائنات . - «انها اول درجة من درجات التعينات في طبيعة الوجود المطلق . وكلها تعينات معنوية لا وجود لها في عالم الاعيان الحسية بل هي مجرد قوايل للوجود» . - «هي اشبه بالصور الافلاطونية وان كانت تختلف عنها من بعض الوجوه» (المصدر المتقدم ، نفس الصفحة) . - «هي للرايا الازلية تسريعات وهي على ما هي عليه من انهم : ما شئت وأتجه الوجود الخارجي ، لأنها ليست سوى صور معنوية في العالم الالهي» (للمصدر المتقدم ، ص : ٥٠) . - ويلفت صاحب لطائف الاعلام يقول : «انها هي للماهية الاشياء» «متشابهة» ، و «المعلم للمعوم» و «الشيء الثابت» باصطلاح الاسولين (انظر خطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٢٥/ ١٢٢٦ ب) . - وانظر ايضا :

L'Imagination créatrice... pp. 88 et

The Mystical Philosophy... pp. 47-53.

(٣) «النفيض المقدس» هو تجلي الواحد في صورة الكثرة الوجودية . فهو ظهور الاعيان الثابتة من العالم للمعول الى العالم المحسوس . او هو ظهور ما هو بالقدرة في صورة ما هو بالفعل» (تلميحات حل للفصوص للاستاذ عفيفي ، ١/٢) .

تلك هي باجمال الخطوط الكبرى لنظرية التجليات عند ابن عربي في مظهرها الوجودي. أنها تختلف عن نظرية «النبويزات»^١ الفلسفية. وعن نظرية «الحق»^٢ عند اشكسين. وإن كانت تنتهي بها في بعض المواقف. وتختلف معها في بعض النتائج.

إن التناقض الأساسي بين فكرة «التجليات الإكبرية» وفكرة «النبويزات» فلسفية. هو كين الأولي واحدة في نظريتها إلى طبيعة الوجود أو في تفسيرها له. — في حين أن الثانية تقول بتعدد الوجود وكثرة^٣.

فإن عربي يعتبر الوجود من «مقربة المطلق لا بشرط». وبالتالي لا يمكن أن تكون فيه تنافية أو كثرة. البتة. وإذا كما نلاحظ الكثرة فيما حولنا من «أشهر

(١) سافر اشربة في السنة الأندلسية الأخيرة. وانتقل بها إلى صيف الشهر الفيلسوف (النبوة في بلدة يقربوبير. من عمل مصر الوسطى. عام ٢٠٥ أو ٢٠٣). وبدأ هذه النظرية: «الواحد من جميع الوجود لا ينسب (أو لا ينشأ) عنه إلا واحد: *Ex una non fit nisi unum*. فمن هذا «الواحد» من جميع الوجود» صدر أمثل الأول انكسار، الذي هو النموذج أعني بالذات، الحادي على جميع «أمثلة». ومنه صدرت النفس انكسار. وبهذا صدرت المادة انكسار. — وفالواحد من جميع الوجود» ينطوي على كل شيء. بدون تميز مطلقاً. — وأمثلة الأول انكسار ينطوي على كل شيء بالضرورة؛ — والنفس انكسار تنطوي على كل شيء بالضرورة. ولكن من غير تفصيل؛ حتى إذا ما وصلت النفس إلى العالم الخامس انفصلت عنها الأشياء وانتشرت وتعددت وتشتت... وقد قدر هذه النظرية أن تترجم بنور كبير في الثقافة الإسلامية وفي التصوف الإسلامي على السواء. — انظر تفصيل ذلك في «تاريخ الفلسفة العربية» حنا السنهوري وتحليل الجزء: الجزء الأول ص. ١١٠-١١٧؛ الجزء الثاني، ص. ١١٣-١١٩؛ ٢٢٣-٢٢٨. (مشرقات دار المعارف، بيروت سنة ١٩٥٨). وانظر أيضاً

Histoire de la philosophie islamique, par H. CORNÉL, pp. 226-233, 239-242; éd. Idées N.R.F. (1964).

(٢) عند الإشاعة خامسة. — والاساس الفكري هذه النظرية قائم على فكرة «الجزء» الذي لا يتجزأ؛ أو «الجوهر النقي» (= *Atomisme*) كما كانوا يقولون. وهذه فكرة قديمة معروفة عند الهند والإغريق. ولكن الإشاعة استطاعوا بمهارة أن «يطوروها» هذه النظرية ويضيفوا ويجمعوها مبدأ آخرتهم «الخلق» و«الخلق الجديد»؛ وبالتالي أساساً لنظريتهم عن الله وتكوين الإنسان. — انظر تفصيل ذلك في كتاب أخام بهذا الموضوع: *Beiträge zur* وقد ترجم هذا الكتاب — *Islamischen Atomlehre*, par S. PREIS, Berlin 1936. — فائدة الأستاذ الفاضل الدكتور محمد أبو زيد بعنوان: «منهج الذرة عند المسلمين»، «اتحاد» (لجنة التأليف والترجمة والنشر) سنة ١٩٤٦. وأما الترجم المقتطعة ترجمة مقالته لـ (Pretzel) المنشورة في *Der Islam* ص ١٩٣١، ص: ١١٧-١٣٠، تحت عنوان: *Die frühislamische Atomlehre* وانظر أيضاً حول هذه المسألة: *Histoire de la Philosophie Islamique*, par H. CORNÉL, I, pp. 174-176.

(٣) انظر تعليقات على النصوص و الدكتور إبراهيم خليل (نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٤٦)، الجزء الثاني ص ٩-١٠.

الوجود، انحصاراً - وفي «خواهره المنعوية» - فني. في نظر الشيخ الاكبر - لا تتصل بطبيعة الوجود من حيث هو - أي من حيث الاطلاق - بل بأخواره ودرجاته. فالتجليات الوجودية هي تعينات تلحق المطلق. ان الذي هو واحد في «وجوده» - كثير في «ثبوته» - أي في مظاهره ودرجاته.

أما نظرية «التعريفات الفلسفية» فني على عكس نظرية «التجليات الاكبرية». تعتبر الوجود من «مقولة الكل» أو من مقولة «المطلق بشرط لا». وبالتالي ترى امكان كثرة عبر الوجودات: ذهنية كانت أو حسية: نوعية أو شخمية.

وإخلاف الجوهري بين فكرة التجليات وفكرة الخلق عند المتكلمين. هو ان علماء الكلام يسرون خواهر الخلق بمثابة فعل الالهي خارج عن محيط الالوهية ذاتها، بدون ان يميزوا - في دائرة الالوهية - بين ما هو مرتبة الذات أو الصفات أو الافعال. بينما يقرر ابن عربي ان الخواهر الخلقية هي من آثار «التجليات الوجودية الفعلية»؛ وبمعبر أكثر دقة: ان الخلق عند الشيخ الاكبر هو التجليات الفعلية ذاتها في مظاهر الكون والوجود. ويتبعيات الافعال: كتجليات الصفات والذات، تدور جميعاً في فلك الالوهية: في مدار كماخا المطلق. فلا شيء خارج عن دائرة الالوهية، في صعيد الوجود: اذ لا شيء خارج عن دائرة المطلق^(١)!

(١) ولكن، في هذه الحاة كيف تقوم العلائق بين الحق والخلق؟ بل كيف تنسر الصلات بين الخالق والمخلوق؟ «لحق وجود حقوقي وهذا له في ذاته، ووجود اضافي وهو ربيده في اعيان المكنات: وهذا بالنسبة له كالظل الذي يمتد على سائر الموجودات فيمضي ربيدها باسم الله والظاهر». فالعالم ظل، اذا نظرت اليه من حيث عينه وباطنه وبجوهه لنتوهم له (الفنن الشيمي) وهو «نفس الرحمن» الذي تنفست فيه صور الوجود من اعلاه الى اسفله...

... واخلق (عالم الظاهر) في تغير مستمر وتحوّل دائم... اما الحق فهو كل ما هو عليه... منذ الازل.... وتتفق هذه الفكرة في ظاهرها مع نظرية الاشارة التي تتلخص بان العالم متشابه بالجهر عتف بالاعراض، وان العرض الواحد لا يبقى زمانين... ولكنه (صاحب حربي) يخطئ في الاشارة في انهم لم يقرروا بان الحق (صالح) هو ذلك «الجهر»: وان مجموعة الصور والنسب التي يسمونها «الاعراض» هي الخلق (صالح). بل واسوا يفترضون «جواهر ذرية» في ذلك «الجهر العام». وهذه «الجواهر (الذرية)» بحسب تعريف (الاشارة)، مجموعة من «الاعراض»، إلا ان لها وجوداً قائماً بنفسه من حيث إنها عين ذلك «الجهر العام» القائم بنفسه، ولكنها من حيث هي اعراض لا تقوم بنفسها: فقد جهل من مجموع ما لا يقوم بنفسه من يقرم بنفسه: وهذا خلف! «(الفنن الشيمي) (انظر مقنة الفصوص للذكور عتيق، الجزء الأول، ص ٢٧-٢٨، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي «للتأخر سنة ١٩٤٦).

التجليات العرفانية او الشروانية

اشرنا منذ خطوات الى ان فكرة التجليات عند ابن عربي : لا تنحصر على دائرة الزجوة بل هي تشمل ايضاً بطبيعة المعرفة . فالتجليات . في نظره . هي مبداء المعارف : حبة كانت او فكرية او روحية . كما هي في الوقت ذاته محور نموها وازدهارها^١ . ويعتبر الشيخ الاكبر التجليات بمثابة المنصور الخالدة : او الحقائق الازلية ، التي تنبع عن مرآة القلب والعقل خلال ابرارها . فتولد فيها المعرفة الحية اليقينية القدسية .

وفي الحقيقة . ان الصلات وثيقة جداً بين الوجود والمعرفة بالقياس الى التضمير البشري ومصدره النهائي . ان اشرف ما في المرء قلبه وعقله . وان شئت قلنا : القلب والعقل هما كل شيء في الانسان . ووجودهما الحقيقي يتحد تماماً مع المعرفة . فالقلب ليس الا العرفان الذي يتألق ابدأ في حناياه ، والعقل ليس الا المعرفة التي تضيء دوماً في ثناياه . فالقلب وجوذاً هو العرفان والعقل كياناً هو المعرفة .

يعرف الشيخ الاكبر التجليات : من حيث هي اصل المعرفة : على النحو الآتي : «التجلي هو ما ينكشف للقلب من انوار الغيب»^٢ . وهذا التعريف يبين لنا حقيقة المعرفة وأداتها وموضوعها كما يراها ابن عربي . فالمعرفة هي «انكشاف» حقيقة الشيء او ماهيته أمام نظر العارف . وهذا الانكشاف يتحقق رمزياً برفع «حجاب» او «حجب القلب» . ويكون ذلك بفضل التجليات الالهية ، اي بقذفها انوار الغيوب في اعماق القلوب . وهذا كله من شأنه ان يظهرنا على طبيعة الصلات القائمة بين حقيقة الوجود وحقيقة المعرفة . وعندئذ نستطيع ان نجد الأجوبة على هذه الاسئلة

(١) المراجع لنزاة فكرة «التجليات العرفانية» عند ابن عربي واتباعه : والمقتضات من اوائل شرح القصص . لاداء التيسري ، خطوط ايا صونيا ، رقم : ١٨٩٨ / ١٦٩ - ٧٤ ب :- «شفاء السائل لتبذيب المسائل» لابن خلدون ص : ٨٢-٨٨ (نشر الأب خليفة ، مطبوعات «معهد الآداب الشرقية» بيروت سنة ١٩٥٩) - «مقدمة ابن خلدون» (التعالي السادس عشر من الباب السادس) .

Das Buch der vierzig Stufen von 'Abd al-Karīm al-Gilī, par ERNEST BANNERATH (Wien 1959), pp. 4, 5, 72.

(٢) اصطلاحات العرفية لابن عربي (مادة تجلي) واصطلاحات الفتوحات (الفتوحات الملكية ... ١٣٣/٢ : ٤٨٥٠) .

اخيرة : ما هي الوساطة بين الوجود والمعرفة ؟ كيف تستحيل المعرفة الى وجود في قلب العارف ؟ وكيف يستحيل الوجود بدوره الى معرفة في قلبه ايضا ؟ ان النور هو صلة الوصل بين الوجود والمعرفة . ومركز الانتصار فيها . فعند استحصال طبيعة المعرفة في قلب العارف الى وجود : وطبيعة الوجود الى معرفة . وتحتل تلك الصفات الغيوب في اعماق التدرب . فتبتدئ حقائق الأشياء أمام العارف في صورها المتخلدة .

يتوزع النور : ندى اشراقه على مرآة القلب . الى حصص متباعدة : كالتجليات الوجدية تماماً . كل حصّة من هذه الانوار تنبع لونا معينا من المعارف الوجدية . فهناك أولا ما يسميه الشيخ الاكبر بنور الانوار^(١) . وهذا صادر عن التجليات الذاتية للحقيقة المطلقة . وعطّل ابن عربي حياء على هذا النمط من التجليات : اسم « السباحات المخزقة » التي يصنع خوفا كل كون حادث ...

ولا يتبقى ماقط « نور الانوار » من الكائن البشري إلا « السرا » . وهو أداة او عنصر سماوي مودع في القلب غير مخلوق . ينفذ بوساطته المرء الى « عالمي الملكوت والجبروت » . - وتجليات « نور الانوار » هي التي تكشف عن الحقيقة المطلقة في اسمي مظاهرها : كما انها هي التي تولّد في القلب المعرفة الحقيقية في ارفع درجاتها : وهي المعرفة المسماة بـ « حق اليقين » : اي اليقين الناتج عن ذوق : الحاصل بحجرة ذاتية .

وهناك ايضا حصّة مميزة من الانوار تعرف باسم « انوار المعاني »^(٢) . ويقصد ابن عربي بهذا اللفظ : ما تحدّثه التجليات الوجدية الصفاتية من آثار خاصة (= ما تنفذه من انوار الغيوب) عند تاقط شعاعها على صفحات القلب . وهذه الانوار هي التي تميّط اللثام عن وجه الحقيقة المطلقة في صورها العقلية الازلية : التي يسميها الشيخ الاكبر بـ « الاعيان الثابتة » . - واتقلب : من الكائن الانساني : هو الذي يتلقى ماقط انوار المعاني . ويفضلها يتأمل المرء بعين قلبه حقيقة الوجود في « عالم الوحدة » : ويرى صلة كل شيء بربه . - وتجليات « انوار المعاني » في القلب : تنشأ المعرفة الحقيقية المسماة بـ « عين اليقين » : اي اليقين المتولد عن المشاهدة والعيان .

(١) اقتبسات للمكية : ٨٥/٢ ، وما بعدها .

(٢) اقتبسات للمكية : ٨٥/٢ ، وما بعدها .

وحيداً . هناك « انوار الطبيعة »^{١١} . والمراد بهذا : في عرف ابن عربي . ما يختص في التذكر البشري من معرفة . اثر التجليات الوجودية الفعلية . وفي هذا المقام يلتقي المعارف والفيلسوف في اكتساب المعارف : كما انه في هذا المقام ايضاً يشتركان معاً بدراسة الظواهر الوجودية في نشوئها وتطورها . في كونها وفسادها . غير ان المعارف احقق يلتقي هذه المعارف كأشوار مساوية . لا كظواهر ارضية ... فهو من اجل ذلك . يستعرض على مسرح الوجود الخارجي ظلال الوجود المعنوي . ويتأمل في صفحات عالم الكثرة (الحروف العاليات) في « عالم الوجدانية » .

وتجليات انوار الطبيعة . تحدد المعرفة اليقينية المسماة بـ « علم اليقين » . وكذا ان عالم الاحدية هو مظهر التجليات الذاتية الوجودية : وعالم الوحدة مظهر التجليات الصفاتية : وعالم الوجدانية مظهر التجليات الفعلية : فكذلك حكم التجليات العرفانية او التوراتية بالقياس الى التجليات الوجودية . فالتجليات الذاتية (في مستوى الوجود) هي مظهر تجليات نور الانوار (في مستوى العرفان) . والتجليات الصفاتية هي مظهر انوار المعاني . والتجليات الفعلية هي مظهر انوار الطبيعة . فتشكّت موازاة تامة بين عوالم الوحدات (= الاحدية : الوحدة : الوجدانية) ودوائر التجليات ، ان في مساوها الوجودي : او في مساوها العرفاني او التوراتي .

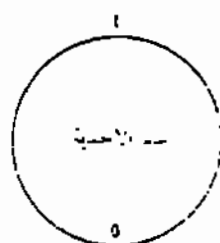
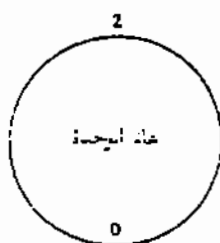
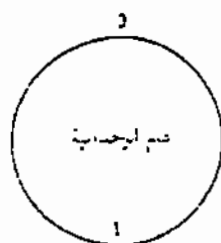
وتتوضح كل ما تقدم في هذا الفصل : وتتلخصه ايضاً ، تقدم الاشكال الخمسة التالية :

الشكل الأول (-شكل رقم : 1) . وهو يحتوي على سبع دوائر . موزعة بالتساوي على ثلاثة خطوط افقية . الخط الأول يمثل ثلاث دوائر متساوية ، رمز عوالم الوحدات : الاولى هي دائرة عالم الاحدية : الثانية : دائرة عالم الوحدة : الثالثة ، دائرة عالم الوجدانية . - وكل دائرة تحتوي على رقمين : الاعلى من (خارج الدائرة) رمز الرقم العددي للدائرة (=دائرة عالم الاحدية : 1 : دائرة عالم الوحدة : 2 : دائرة عالم الوجدانية : 3) . والاسفل (في داخل الدائرة) رمز الرقم الاصلي للدائرة (= دائرة علم الاحدية : 0 : دائرة عالم الوحدة : 0 : دائرة عالم الوجدانية : 1) .

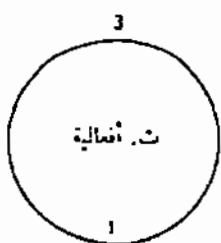
ونخط الأفقي الثاني يمثل ثلاث دوائر متساوية . رمز التجليات
الرجدية : الأولى هي دائرة التجليات الذاتية : الثانية : دائرة التجليات
الصفائية . الثالثة : دائرة التجليات الفعلية . — وكل دائرة تحتوي على
رقمين : الأعلى رمز الرقم العددي للدائرة . والأسفل رمز الرقم الأصلي خا .
ونخط الأفقي الأخير يمثل ثلاث دوائر متساوية : رمز التجليات العرفانية
او النورانية : الأولى هي دائرة نور الأنوار : الثانية : دائرة انوار المعاني :
الثالثة : دائرة انوار الطبيعة . — وكل دائرة تحتوي على رقمين ايضاً : الأعلى
رمز الرقم العددي للدائرة . والأسفل رمز الرقم الأصلي خا .

شكل رقم I:

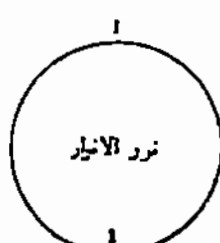
عزائم الوحدات



التجليات الوحدوية



التجليات المعرفية او التدرجية



والشكل الثاني (- شكل رقم : II) يحتوي على مثلث عكسي : زاوية الرأس من اسفل : وقاعدة أنضلعين من أعلى . فزاوية الرأس تمثل دوائر (عالم الوحدات) : دائرة عالم الاحدية في المركز : ثم يليها دائرة عالم الوحدة . ثم دائرة عالم الوجدانية .

ويقطع هذه الدوائر جميعاً خطان وهميان متقابلان : خط عامودي : وخط أفقي . والنصف الأعلى من الخط الوهمي العامودي مؤلف من ارقام عديدة متسلسلة للدوائر (= دائرة عالم الاحدية : 1 : دائرة عالم الوحدة : 2 : دائرة عالم الوجدانية : 3) . اما النصف الاسفل من الخط الوهمي العامودي . فمؤلف من ارقام اصلية للدوائر (- دائرة عالم الاحدية : 0 : دائرة عالم الوحدة : 0 : دائرة عالم الوجدانية : 1) .

والخط الوهمي الافقي . يتقاطع للدوائر عالم الوحدات : مكون من عناوين هذه الدوائر نفسها : عالم الاحدية في المركز . ثم يليه عالم الوحدة . ثم يليه عالم الوجدانية .

اما زاوية الضلع الأيمن فتمثل دوائر التجليات الوجدانية : دائرة التجليات الذاتية . في المركز : ثم يليها دائرة التجليات الصفائية : ثم يليها دائرة التجليات الفعلية او الافعالية .

ويقطع هذه الدوائر جميعاً خطان وهميان متقابلان : خط عامودي : وخط أفقي . والنصف الاعلى من الخط العامودي : مؤلف من ارقام عديدة متسلسلة للدوائر (= دائرة التجليات الذاتية : 1 : دائرة التجليات الصفائية : 2 : دائرة التجليات الافعالية : 3) . والنصف الاسفل من هذا الخط الوهمي ، مؤلف من ارقام اصلية للدوائر التجليات الوجدانية (= دائرة التجليات الذاتية : 1 : دائرة التجليات الصفائية : 1 : دائرة التجليات الافعالية : 1) .

اما الخط الوهمي الافقي : يتقاطع للدوائر التجليات الوجدانية : فكون من عناوين هذه الدوائر نفسها : ت. ذاتية : ت. صفائية : ت. افعالية (او فعلية) .

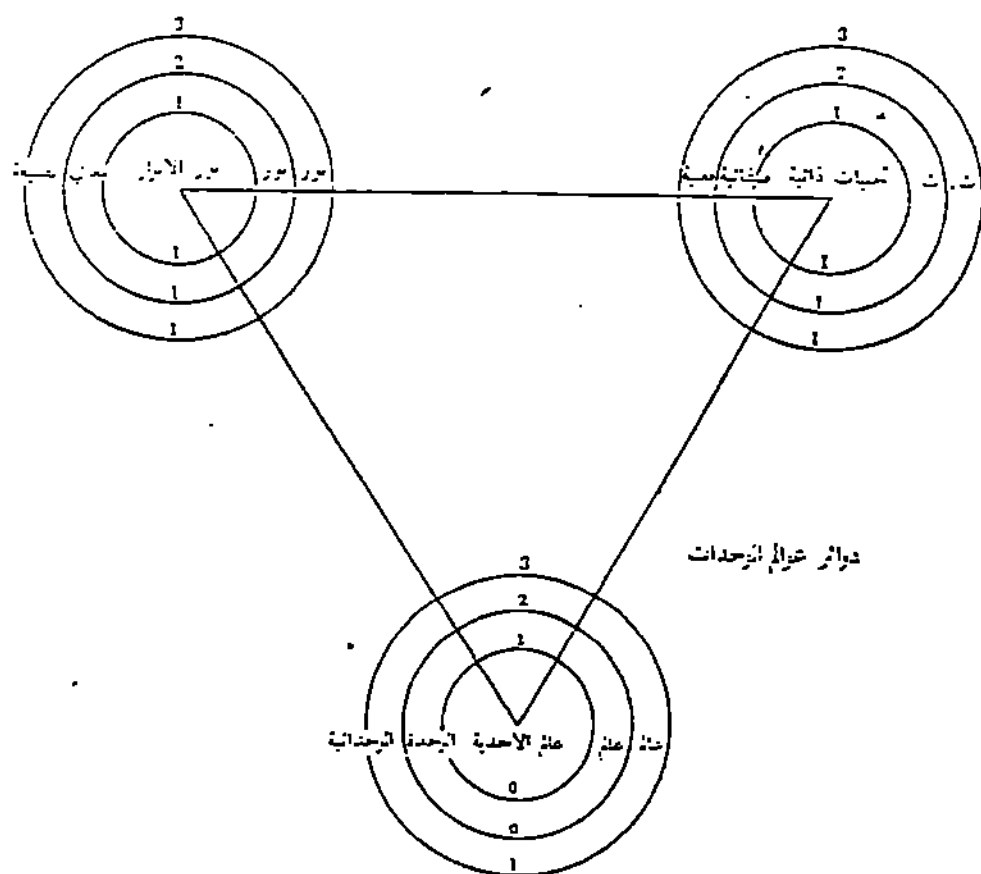
واخيراً : زاوية الضلع تمثل دوائر التجليات العرفانية او النورانية : دائرة نور الأنوار ، في المركز ، ثم يليها دائرة أنوار المعاني ، ثم يليها دائرة أنوار الطبيعة .

ويقطع هذه الدوائر جميعاً خطان متقابلان : خط عامودي . وخط
 أفقي . فالنصف الأعلى من الخط العامودي : مرئى من ارقام عديدة
 متسلسلة لدوائر (= دائرة نور الانوار : 1 ؛ دائرة انوار المعاني : 2 ؛
 دائرة انوار الطبيعة : 3) . والنصف الاسفل من هذا الخط العمودي .
 مرئى من رقة اعية لدوائر التجليات العرفانية او الشروانية (= دائرة
 نور الانوار : 1 ؛ دائرة انوار المعاني : 2 ؛ دائرة انوار الطبيعة : 3) .
 اما الخط الرأسي الأفقي . انقطع لدوائر التجليات العرفانية او الشروانية .
 تتكون من عددين هذه الدوائر نفسها : نور الانوار . نور المعاني . نور
 الطبيعة .

شکل رقم : II

دوائر التحجیات الالهیة او السریة

دوائر التحجیات النوریة



والشكل الثالث (= شكل رقم : III) يختص على سبع دوائر .
متداخل بعضها في بعض . وتنقسم عوالم الوحدات والتجليات الوجدانية
والعرفانية أو الشرائية .

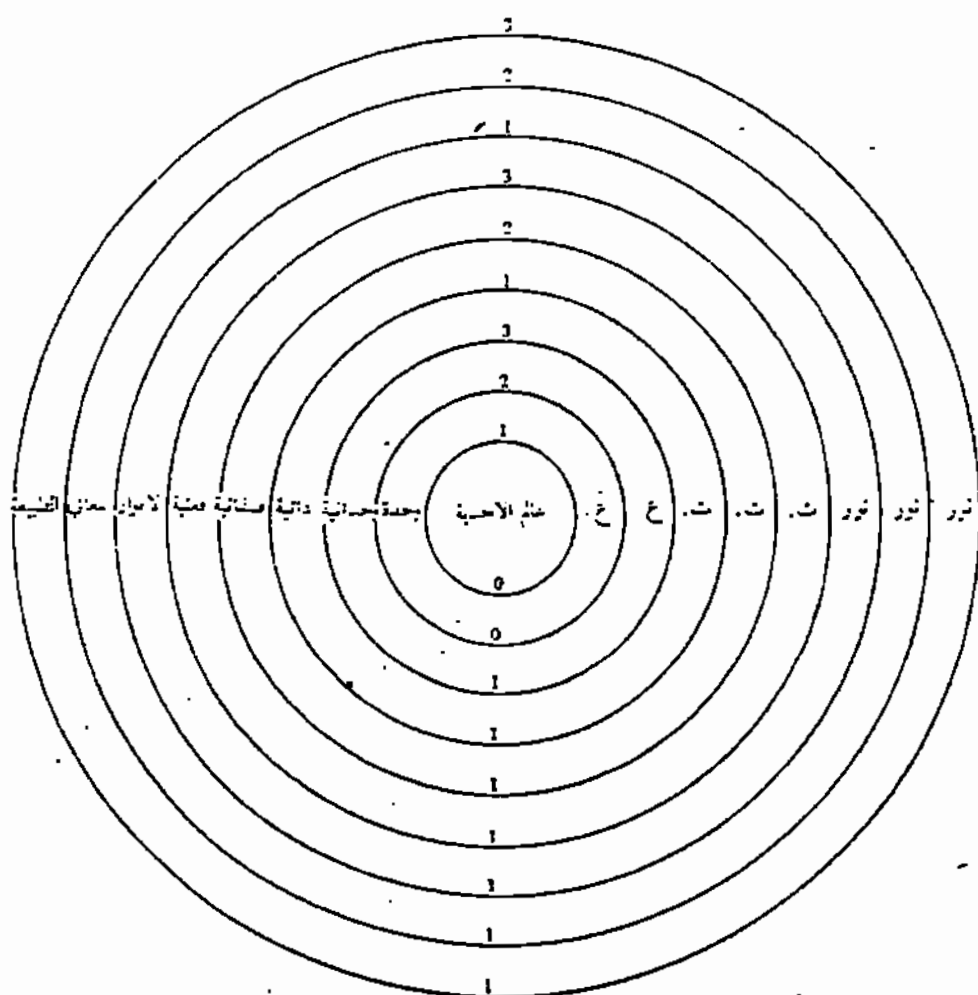
فدائرة المركز تمثل عالم الاحدية . ثم يليها دائرة عالم الوحدة ودائرة
عالم الحيادية ؛ ثم يليها دائرة التجليات الذاتية فدائرة التجليات الضمنية
فدائرة التجليات الفعلية ؛ ثم يليها دائرة نور الانوار فدائرة نور المعاني فدائرة
نور الطبيعة .

ويقطع هذه الدوائر جميعاً حيطان رحيل متشاكلان : خط عامودي وخط
قطبي . ونصنف الاعلى من الخط العامودي . مؤلف من ارقام عديدة
مستسمة للدوائر عوالم الوحدات ودوائر التجليات الوجدانية والعرفانية او الشرائية .
ونصنف الاسفل من هذا الخط . مؤلف من ارقام اصلية لتلك الدوائر
كدها .

اما الخط الاقضي التوحيدي . انما هو عجموع هذه الدوائر . فمكرن من
عناوين الدوائر نفسها .

شكل رقم : III

دوائر عدول الوحدات والتجزيات الموحدة والبرقانية



التجليات والاختبار الروحي

تجليات الانوار عند ابن عربي . هي ينابيع العرفان . وبالأولها الكثيرة تدرك المعارف في قوى الانسان . والانوار كذلك هي مبادئ الوجود : وبغيرتها اجمة تبدو الاشياء نابضة بالحياة على مسرح الوجود والشهود . ومعركة الوجود يتحدان في التفسير البشري . بانتقاس الى كيانه المعنوي ومبصره النهائي . من اجل هذا . كان انوار لسان مبدأ ووسيلة وغاية .

« انوار » مبدأ الانسان : لانه في أصل تركيبه . بل هو في أصل كل كبر . مركباً كان او بسيطاً . وهو وسيلة ايضاً : لانه اداة بقائه للمادي والمعنوي . ان النور هو مادة الاغذية والاشربة ... وعنصرها الاعظم . انه روح المعارف الحسية والعقلية والغيبية . — وانوار ايضاً هو غاية الانسان في الحياة : لان لديه — ولديه فحسب — يتحقق وجوده في الأبد .

اذا صح ما نحن الآن في سيله ، فمن السهل علينا ان ندرك مدى الاتصالات الوثيقة بين فكرة التجليات وفكرة الاختبار الروحي او « التجربة التحريرية » للانسان . وهذا سيقودنا بدوره الى معالجة هذه الناحية الخاصة في مذهب ابن عربي التي هي المظهر الاخير لنظريته انعام في « التجليات » .

ذلك لانه بفضل التجليات الالهية^(١) : يتيسر لرجل السالك ان يمضي قدماً في « طريقه » : متخطياً « اسلاك » او « أشراك الأحوال » : متمكناً في « منازل الابطال » : مترقياً في « مقامات الصديقين » . والمعارف الروحية التي تفيض على جنانه ، هي حقائق ابدية ، منبثقة عن ينابيع الحق المطلق . انها تفسر قلبه بالبهجة والغبطة ، وتبعث فيه روح الكمال والتقداسة . انها تنفذ في اقطار كيانه كله : في فكره وارادته : في حسه وموجدانه ، في عواطفه وميوله ، فتحيلها جميعاً الى طاقة من نور : وشعلة من نار ... وكذلك يصبح المرء نموذجاً حياً من الطهر والصفاء والقداء .

الاحوال والمنازل والمقامات هي اركان « هيكل الولاية » في الاسلام ، ومبناه ومعناه . انها ، في نظر الشيخ الاكبر ، من نتائج التجليات الالهية : سواء في دائرتها الوجودية ، او في دائرتها العرفانية او النورانية .

(١) اقتراحات الكلية : ٢٧٤/٢ - ٢٩٤

(٢) « اقتراحات الكلية » : ٢٣٦/٢ - ٢٤٠

فالأحوال هي ما يعتري «أهل الطريق» من الظواهر النفسانية أو الوجدانية . أثناء السير والسلوك إلى ملك الملوك . وذلك كالوجد والاصطلام والنبط والتسحر والتقبض والمكر ... الخ. إنها «غلات في الآفاق» و«بروق في الأجواء» . سرعان ما تبدر حتى تغيب . بيد أن حشد «الأحوال» ضرورية في «التجربة التحريرية» للإنسان . إذ عندها يتميز «الثاني» من شؤون العبد و«الباقى» من شؤون الرب : فيبقى الباقي ويفنى الثاني .

أما «الشارف» فهي الديار الحقيقية في سماء الحبيب ، وهي الغرف الثورانية في جنان الخلود . إنها «قصر الحقيقة» يأوي إليها السالك : بعد طول عنائه وجهاده : فيجد نيا خلال النور وضياء المعرفة وغبطة القداسة . و«المقامات» - وهي الركن الأخير في «هيكل الولاية» - رتب معنوية ودرجات روحية . يمنحها أهل الطريق ويتحققون بها في اختبارهم الديني و«تجربتهم التحريرية» .

وعند الشيخ الأكبر : «الفناء» هو رأس «الأحوال» ؛ و«انبثاء» هو رأس «الشارف» . واليقين هو رأس المقامات . وكل واحد من هذه الأمور له مظاهر أو صور ثلاث ؛ كما أنها جميعاً على صلات محكمة بالتجليات الإلهية في مراتب الوجودية والثورانية في آن معاً .

فالفناء^(١) موت معنوي - إلا أنه حقيقي - يتذوقه ... السالك بتحضر إرادته . إنه رأس الأحوال نهاية المطاف فيها . به يتجرد المرء عن كل شيء ، سرى مطلوبه الحق ، وغايته الصدق . ويظهر الفناء : من خلال الحياة الروحية ، في ثلاث صور : فناء في الأفعال ؛ وفناء في الصفات ؛ وأخيراً فناء في الذات .

وفي الحقيقة الفناء الصوفي ، في مظاهره الثلاثة ، ليس عملاً أو مجهوداً . سلباً قطعاً . إنه فناء عن كل ما هو فان ، فعلاً كان أو صفة أو ذاتاً . وبعبارة أوضح : إنه فناء عما سوى الله - تعالى ! - . والله - جل جلاله ! - هو الموضوع الاسمي لكل ما هو حق وخير وجمال . فالفناء ، من حيث هو حال معنوي ، يتطلب من صاحبه جهداً دائماً مركزاً ، لتحريره عن كل عائق تجاد دواعي الحقيقة الكبرى ولإزمها ؛ أن في أفعاله أو صفاته أو ذاته . إنه يقتضيه رقابة تامة لكل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو صفة . -

(١) بخصوص معنى «الحال» . انظر «الفتوحات المكية» ... ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ ؛
وبخصوص معنى «الفناء» تنس المصدر : ٥١٢/٢ - ٥١٥ .

وكذلك يغمر المرء : بفضل هذه الحالة المعنوية الخاصة . مرآة صافية تشع ضياءاً أنوار الحق بكامل لآلئها وبهاياها .

أما « البقاء »^١ فببر حياة مع الله وبالله وفي الله والله . انه « رأس المنازل » في ديار الخيب . وهو ذو مظاهر ثلاث . يتصل كل مقدر منها بتجل من التجليات الإلهية . في مرتبتها الوجودية او العرفانية .

فالظهير الأول لبقاء الصوفي هو منزل البقاء في الأفعال . وفي هذا موضع يتحد فعل العبد : بل يتسامى الى اقن العمل الإلهي في نظامه وإشارته ونوامه . وهذه الصورة العينية من « البقاء العرفي » منبعثة عن آثار التجليات الإلهية الفعلية (في مستواها الوجودي) ، وعن أنوار الطبيعة (في مستوى التجليات العرفاني) .

والظهير الثاني للبقاء : هو منزل البقاء في الصفات . وهذا يعني اتحاد صفات العبد : بل تسامياً الى ذروة الصفات الإلهية : في كمالها وأحقيتها وأبديتها . فيصبح قلب الإنسان ، في هذا المنزل المعنوي : مرآة صافية نقية تنتش عليها نغوت الخالق الأعظم : كما أصبحت من قبل قواه الإرادية ، في منزل البقاء في الأفعال : أداة طيعة صالحة تتحقق بها مقاصد الله في انكون وشؤونه العجيبة في الحياة . — وهذه الصورة من « البقاء الصوفي » : منبعثة عن آثار التجليات الإلهية الصفاتية (في مستواها الوجودي) ، وعن تجليات أنوار المعاني (في مستواها العرفاني) .

والظهير الثالث والأخير للبقاء ، هو منزل البقاء في الذات ، او البقاء الذاتي . وفي هذا الموضع يتحد ذات العبد : بل يتسامى الى اقن الذات الإلهية في وحدانيتها ورفعتها وشموها . فيكون وجود السالك الروحي مستغرقاً في وجود الحق — تعالى ! — . فإذا ابصر لا يبصر الا بالحق ، وإذا سمع لا يسمع الا بالحق ، وإذا أراد لا يريد الا بالحق : وإذا تأمل لا يتأمل الا بالحق . وهذه هي الصورة اتامة للبقاء الصوفي ، والمرحلة النهائية للسير في « منازل الإبطال » . — ومنزل البقاء في الذات يتحقق بفضل التجليات الإلهية الذاتية (في مستواها الوجودي) ، وبفضل تجليات نور الأنوار (في مستواها العرفاني) .

ولكن ، كيف يتحمل المرء طواعية ألوان الفناء الصوفي ، بصورة الثلاث ؟ وكيف ينتهي به الأمر الى « منزل البقاء » ، رأس « منازل الإبطال » ؟

(١) بخصوص معنى « المكان » (= المنزل) . انظر للمصدر المقتضب : ٢/ ٣٨٦ :
وبخصوص معنى « البقاء » : نفس المصدر : ٢/ ٥١٥-٥١٦ .

وبتعبير أكثر بساطة : ما هي وسيلة الصوفي لتتحقق بحال انقضاء ؟ ما هي مطلبه لتوصل الى منزل البقاء ؟ يهينا الشيخ الاكبر بانه الحب الاخي - والحب الاخي وحده - هو الكفيل بجميع ذلك . فلنتبع اليه : بلغت اشعرية واسلوبه الرمزي : يصف الوان انقضاء وصور البقاء . في ظلال الحب وفي حضرة الحبيب الحق :

حبيبي قوة عيني^١
 انت مني بحيث انا
 لرتبي . قسيمي
 تعالى الله !
 لا : بل انت ذاتي .
 هذي يدي وبيدك
 ادخل بنا الى حضرة الحبيب الحق
 حتى لا تتأز
 فنكون في العين واحدا
 ما ألعنه من معنى
 وما أرقه من فرج !
 « رق الزجاج وراقت الخسر
 فتشاكلا فتشابه الأمر
 فكأنا خر ولا قدح
 وكأنا قدح ولا خر »
 عسى تعطل العشار
 وتمحى الآثار
 وتخسف الأفار
 وتكور شمس الليل والنهار
 وتنطمس نجوم الانوار
 « فتنى ثم نفى ثم نفى
 كما يقنى انقضاء يلا فناء
 ونفى ثم نبقى ثم نبقى
 كما يقنى البقاء يلا بقاء » !

(١) عنوان هذه الفقرة : « تجلي خلاص المحبة » ورقها : ٨٢ : وشرح معانيها سيأتي في حينها ...

واليقين^{١١} هو رأس المقامات . كما نوهنا بهذا من قبل . به يكمل هيكل التولية : أي نظام « التجربة التحريرية » من الإسلام . وفي دائرة الحياة الدينية العامة : اليقين هو صخر « الاحسان » : أعني عبادة — الله تعالى ! — على الرؤية والعيان . ومن ثم . كان اليقين عماد « الإسلام » في أداء شعائره الخارجية . وإساس « الايمان » في معتقداته الباطنية . إذ هو الذي يضفي على الشعائر الدينية معناها الصحيح . وهو الذي يعطي المعتقدات الغيبية قيمها الحقيقية .

وليقين درجات ثلاث : كالتقاء وانفناء تماماً . فالدرجة الأولى تسمى بعلم اليقين^{١٢} . أي اليقين الحاصل عن علم . وفي هذه الدرجة . يكون موضوع اليقين الذي هو العلم . وموضوع العلم الذي هو اليقين : — ماثلاً في النفس فقط . وهذا هو أول مظاهر اليقين في الحياة الروحية : وآخرها في الحياة الذكورية . وهذه الدرجة انخاصة من اليقين الصوفي : تكون نتيجة التجليات الالهية الافغالية (في المستوى الوجودي) : ونتيجة تجليات انوار الطبيعية (في المستوى العرفاني) .

والدرجة الثانية لليقين : هو ما يسمى بعين اليقين^{١٣} ، أي اليقين الناتج عن شهود وعيان . وفي هذا الموضع يكون موضوع اليقين حاضراً امام العارف المحقق : لا ماثلاً في ذاته فقط . ويكون العلم هنا « علماً حضورياً » وهذا هو المظهر الثاني لليقين في الحياة الروحية : وبه يتميز « أهل الطريق » (من ارباب الخيال) عن اصحاب الفكر وعلماء الطبيعة ، من حيث هم كذلك . — وهذه الدرجة انخاصة من اليقين الصوفي : تكون بتأثير التجليات الالهية الصفائية (في المستوى الوجودي) : وتأثير تجليات انوار المعاني (في المستوى العرفاني) .

وأخيراً ، الدرجة الثالثة لليقين هي « حق اليقين »^{١٤} . أي اليقين حقاً وحقيقته . وينبثق هذا اللون الخاص من اليقين عن تجربة تامة وذوق كامل . ويتحد عنده موضوع اليقين مع ذات صاحب اليقين نفسه . فتتحيل المعرفة الى معروف ، والمعروف الى معرفة . فوضوح المعرفة لا يكون ماثلاً في الذهن ، او مشهوداً للعين : بل متفاعلاً مع الذات نفسها ، متحداً بها ،

(١) بمفهوم معنى « التمام » : انظر « التشرحات للمكية » ٢/ ٣٨٥ ؛ وبمفهوم

معنى « اليقين » ، نفس المصدر : ٢/ ٢٠٥-٢٠٦

(٢) انظر « التشرحات للمكية » ٢/ ٥٧٠-٥٧١

(٣) انظر « التشرحات للمكية » ٢/ ٥٧٠-٥٧١

(٤) انظر « التشرحات للمكية » ٢/ ٥٧٠-٥٧١

مستبلكاً فيها . وهذا هو المظهر الأخير لليقين . ونباية انطاف في اخية
العنلية والروحية . - وهذه الدرجة من اليقين الصوفي . تكون بنفس التحليات
الاخية الذاتية (في المستوى الوجودي) : وبنفس نور الانوار (=النبجات
اخروقة . في مستوى التحليات العرفانية) .



رأينا من خلال ما تقدم ان دهيكل الولاية (١) . اي نظام التجربة
التحريرية ، في الاسلام ، ذو روابط محكمة بعوالم التحليات الاخية .
سواء في مظاهرها الوجودية او العرفانية ، في آن معاً . وكما مرنا سابقاً لتلك
العوالم ياشكال هندسية من اجل توضيحها وتلخيصها . - فنرمز كذلك
هنا بنفس تلك الاشكال ، لنفس ذلك الغرض .

فالشكل الاول (=شكل رقم : IV) يحتوي على سبع دوائر : موزعة
بالتساوي على ثلاثة خطوط أفقية . الخط الاول يمثل دوائر صور البقاء
الثلاثة : الخط الثاني يمثل دوائر صور البقاء الثلاثة . الخط الثالث والاخير
يمثل دوائر درجات اليقين الثلاثة .

فالدائرة الاولى ، من الخط الاقوي الاول . رمز لصورة البقاء في الافعال .
والدائرة الثانية : رمز لصورة البقاء في الصفات . والدائرة الثالثة : رمز لصورة
البقاء في الذات .

وكل دائرة : من هذا الخط الاقوي الاول . تحتوي على رقمين :
الأعلى (خارج الدائرة) هو رمز للرقم العددي المتسلسل للدائرة (= دائرة
البقاء في الافعال : 1 : دائرة البقاء في الصفات : 2 : دائرة البقاء في الذات :
3) ؛ - والاسفل (داخل الدائرة نفسها) هو رمز الرقم الاصلي للدائرة :
(= دائرة البقاء في الافعال : 3 : دائرة البقاء في الصفات : 2 : دائرة
البقاء في الذات : 1) .

والخط الاقوي الثاني : من هذا الشكل ، يمثل ايضاً ثلاث دوائر متساوية ،
هي رمز لصور البقاء الصوفي . الدائرة الاولى : رمز لصورة البقاء في الافعال ؛
الدائرة الثانية ، رمز لصورة البقاء في الصفات ؛ الدائرة الثالثة ، رمز لصورة
البقاء في الذات .

(١) بخصوص معاني آولاية واسماها ، انظر « التتبعات المنكية » ٢٤٦/٢ - ٢٥٢

وكل دائرة من هذا الخط الأفقي الثاني : تحتوي على رقمين أيضاً : الاعلى (خارج الدائرة) هو رمز الترقيم العددي المتسلسل للدائرة (= دائرة البقاء في الأفعال : 1 : دائرة البقاء في الصفات : 2 : دائرة البقاء في الذات : 3) : - والاسفل (داخل الدائرة نفسها) هو رمز الترقيم الاصلي للدائرة (= دائرة البقاء في الأفعال : 3 : دائرة البقاء في الصفات : 2 : دائرة البقاء في الذات : 1).

وأخيراً الخط الأفقي الثالث يمثل ثلاث دوائر متساوية . هو رمز تدريجات اليقين . الدائرة الأولى . رمز لعلم اليقين : الدائرة الثانية . رمز لعين اليقين : الدائرة الثالثة . رمز حق اليقين .

وكل دائرة هنا تحتوي أيضاً على رقمين : الاعلى (فوق الدائرة) هو رمز الترقيم العددي المتسلسل لها (= دائرة علم اليقين : 1 : دائرة عين اليقين : 2 : دائرة حق اليقين : 3) : - والاسفل (داخل الدائرة نفسها) هو رمز الترقيم الاصلي للدائرة (= دائرة علم اليقين : 3 : دائرة عين اليقين : 2 : دائرة حق اليقين : 1).

شكل رقم IV :

دوائر صور انشاء



دوائر صور البقاء



دوائر درجات اليقين



والشكل الثاني (= شكل رقم : V) يحتوي على مثلث متساوي الاضلاع .
زاوية الرأس فيه تمثل دوائر درجاة اثنتين الثلاث : دائرة حق اليقين . في
المركز : ثم يليها دائرة عين اليقين : ثم يليها دائرة علم اليقين .

ويقطع هذه الدوائر جميعاً خطان وهميان متقابلان : خط عامودي .
وخط أفقي . فالنصف الأعلى من الخط الوهمي العامودي . مؤلف من
أرقام عديدة متسلسلة للدوائر (= دائرة حق اليقين : 3 : دائرة عين اليقين :
2 : دائرة علم اليقين : 1) .

أما النصف الأسفل من هذا الخط الوهمي مؤلف من أرقام أصلية
للدوائر (= دائرة حق اليقين : 1 - دائرة عين اليقين : 2 : دائرة علم
اليقين : 3) .

والخط الأفقي : التقاطع للدوائر درجات اثنتين : مكون من عناوين
هذه الدوائر نفسها : حق اليقين - (في المركز) : ثم يليه عنوان عين اليقين :
ثم يليه أخيراً عنوان علم اليقين .

أما زاوية الضلع الأيمن من هذا المثلث الرمزي : فإنها تمثل دوائر الثناء
الذاتي (في المركز) : يليها دائرة الثناء الصفاتي : يليها دائرة الثناء الالهي .

ويقطع هذه الدوائر جميعاً خطان وهميان متقابلان : خط عامودي وخط
أفقي . فالنصف الأعلى من الخط العامودي ، مؤلف من أرقام عديدة
متسلسلة للدوائر (= دائرة الثناء الذاتي : 3 : دائرة الثناء الصفاتي : 2 :
دائرة الثناء الالهي : 1)

أما النصف الأسفل من هذا الخط الوهمي العامودي : مؤلف من أرقام
أصلية للدوائر (= دائرة الثناء الذاتي : 1 : دائرة الثناء الصفاتي : 2 :
دائرة الثناء الالهي : 3) .

والخط الأفقي التقاطع لدوائر صور الثناء ، مكون من عناوين هذه
الدوائر نفسها : عنوان الثناء الذاتي (في المركز) : يليه عنوان الثناء الصفاتي ؛
يليهِ عنوان الثناء الالهي .

أما زاوية الضلع الأيسر لهذا المثلث نفسه ، فإنها تمثل دوائر صور
البقاء الثلاث : دائرة البقاء الذاتي (في المركز) ؛ يليها دائرة البقاء الصفاتي ؛
يليها أخيراً دائرة البقاء الالهي .

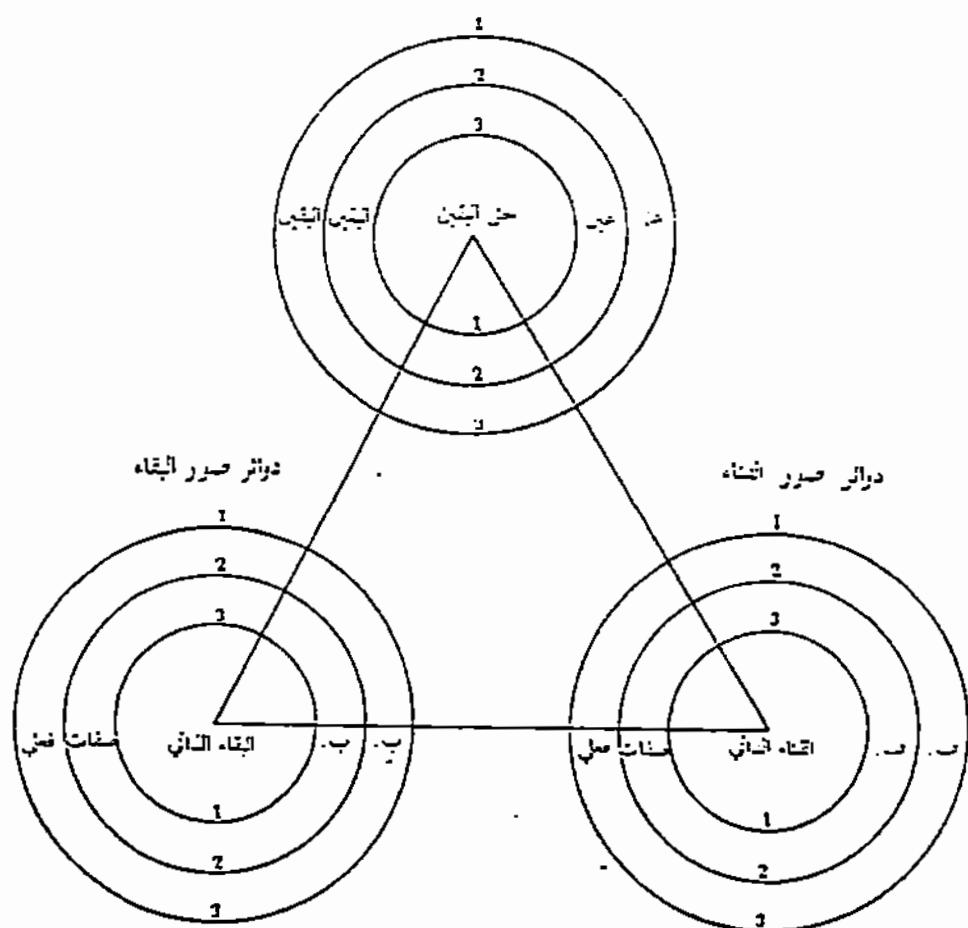
ويقطع هذه الدوائر جميعاً خطان وهميان متقابلان : خط عامودي وخط أفقي . فالنصف الأعلى من الخط العامودي : مؤلف من ارقام عديدة متصلة للدوائر (= دائرة البقاء الذاتي : 3 ؛ دائرة البقاء النصفاني : 2 ؛ دائرة البقاء الافعالي : 1) .

اما النصف الاسفل لهذا الخط العامودي . فهو مؤلف من ارقام اصلية للدوائر (= دائرة البقاء الذاتي : 1 ؛ دائرة البقاء النصفاني : 2 ؛ دائرة البقاء الافعالي : 3) .

والخط الأفقي . يتقاطع لدوائر صور البقاء . مكون من عناوين هذه الدوائر نفسها : عنوان : البقاء الذاتي (في المركز) ؛ يليه عنوان البقاء النصفاني ؛ يليه أخيراً عنوان البقاء الافعالي .

شكل رقم ٧:

دوائر درجات البقاء



والشكل الثالث (= شكل رقم : VI) يحتوي على تسع دوائر : متداخل بعضها في بعض ؛ وتنظم دوائر درجات اليقين ودوائر حور البقاء والبقاء .

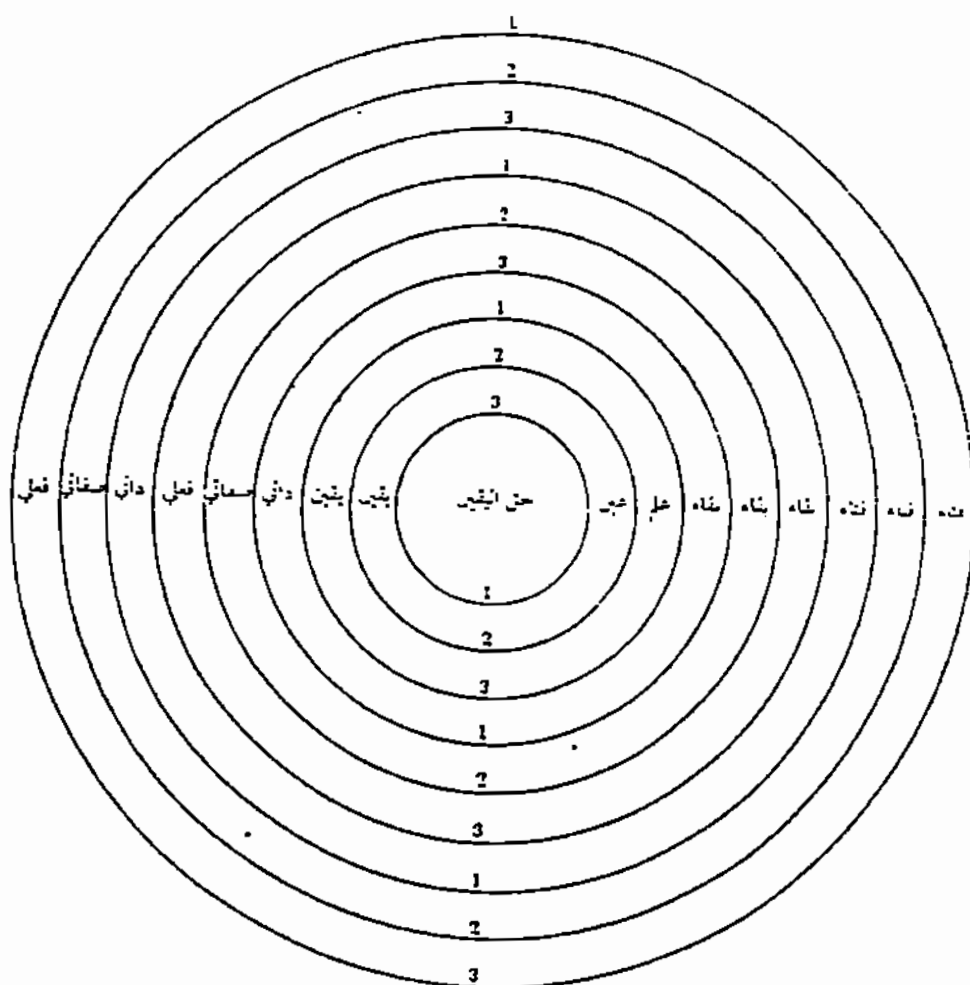
فدائرة المركز تمثل دائرة حق اليقين ؛ يليها دائرة عين اليقين ؛ يليها دائرة علم اليقين ؛ يليها دائرة انشاء الذاتي ؛ يليها دائرة انشاء الصنفاي ؛ يليها دائرة انشاء الفعلي ؛ يليها دائرة انشاء الذاتي ؛ يليها دائرة انشاء الصنفاي ؛ يليها أخيراً ويحيط بالدوائر جميعاً دائرة انشاء الفعلي .

ويقتض هذه الدوائر كلها خطان وهميان متقابلان : خط عامودي وخط أفقي . فالنصف الأعلى من الخط العامودي ، مؤلف من ارقام عديدة متسلسلة للدوائر بأجمعها . والنصف الأسفل من هذا الخط . مؤلف من ارقام الدوائر الأصلية .

اما الخط الافقي الوهمي ، القاطع هذه الدوائر جميعاً . فمكون من عناوين الدوائر نفسها .

شکل رقم: VI

دوائر یقین و انشاء و انشاء



هيكـل الحقيـقة الوجودية

على ضوء ما تقدم : نستطيع تمثيل هيكـل الحقيقة الوجودية ١ في صورة مثلث : ذي ثلاث زوايا : عن كل زاوية فيه تنبثق ابعاد ثلاثة : هي رمز لعوالم الوحدات ومظاهر التجليات .

فلنفترض زاوية رأس المثلث رمزاً لعوالم الوحدات . فَنَسْتَبْ ابعاد ثلاثة تنبثق عن هذه الزاوية . البعد الأول (في الوسط) يصور عالم الأحدية : البعد الثاني (على طرف اليمين) يصور عالم الوحدة : البعد الثالث (على طرف اليسار) يصور عالم الترحدانية .

كل بعد من ابعاد زاوية الرأس . ينتهي بشكل دائرة صغيرة : اعلاها يحتوي على رقم عددي متسلسل للدائرة (= دائرة عالم الأحدية : 1 : دائرة عالم الوحدة : 2 : دائرة عالم الترحدانية : 3) : واسفلها يحتوي (من الداخل) على رقم اصلي للدائرة (= دائرة عالم الأحدية : 0 : دائرة عالم الوحدة : 0 : دائرة عالم الترحدانية : 1) . اما داخل الدائرة نفسها فيحتوي على عنوان كل منها .

ولنفترض زاوية الضلع اليمين رمزاً للتجليات الوجودية . فثمت ابعاد ثلاثة ايضاً : تنبثق عن هذه الزاوية . البعد الأول (في الوسط) يصور التجليات الذاتية : البعد الثاني (على طرف اليمين) يصور التجليات الصفائية : البعد الثالث (على طرف اليسار) يصور التجليات الفعلية او الافعالية .

وكل بعد من ابعاد هذه الزاوية : ينتهي بشكل دائرة صغيرة : اعلاها يحتوي على رقم عددي متسلسل للدائرة (= دائرة التجليات الذاتية : 1 : دائرة التجليات الصفائية : 2 : دائرة التجليات الفعلية : 3) : واسفلها يحتوي على رقم اصلي للدائرة (= التجليات الذاتية : 1 : التجليات الصفائية : 1 : التجليات الفعلية : 1) . اما داخل الدائرة فيحتوي على عنوان كل منها .

ولنفترض اخيراً زاوية الضلع اليسر رمزاً للتجليات العرفانية او النوارية . فهناك ابعاد ثلاثة تصدر عن هذه الزاوية . البعد الأول (في الوسط) يصور تجليات نور الانوار : البعد الثاني (على طرف اليمين) يصور تجليات انوار المعاني : البعد الثالث (على طرف اليسار) يصور تجليات انوار الطبيعة .

وكل بعد من ابعاد هذه الزاوية ينتهي بدائرة صغيرة : اعلاها يحتوي على رقمها العددي المتسلسل (= دائرة تجليات نور الانوار : 1 : دائرة تجليات انوار المعاني : 2 : دائرة تجليات انوار الطبيعة : 3) واسفلها

يحتوي على الرقم الأصلي للدائرة (= دائرة تجليات نور الأنوار : 1 : دائرة تجليات أنوار المعاني : 1 : دائرة تجليات أنوار الطبيعة : 1) — أما داخل الدائرة فيحتوي على عنوان كل منها .

وانشكن التالي (= شكل رقم : VII) يوضح ما تقدم جميعه ويخلصه نحن تلخيص .

شكل رقم VII :

هيكل الحقيقة الزلزالية وأبعادها الاسمية

